فن الرسوم الصخرية فى منطقة خميس مشيط

(دراسة تحليلية للأساليب الفنية)

د. مسفر سعد محمد الخثعمى*

ملخص البحث

يركز البحث على دراسة فن الرسوم الصخرية في محافظة خميس مشيط والمراكز التابعة لها بالمملكة العربية السعودية بوصفه أحد أهم المصادر لدراسة تاريخ ما قبل الإسلام في هذه المنطقة بشكل خاص والمملكة العربية السعودية بشكل عام، نظراً لارتباطها بأنشطة الحياة اليومية للسكان الذين تعاقبوا على سكنى هذه البقعة، ولهذا فهي تصور لنا بوضوح بعض أساليب الحياة المختلفة، وتكشف لنا بعض العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية والاقتصادية للشعوب التي تركت لنا هذا الفن الصخري. وليس هذا فحسب بل أن هذا الفن يبرز لنا الأساليب الذوقية والجوانب الفكرية الدينية للأقوام التي خلدته لنا على واجهات الصخور.

وبصرف النظر عن الموضوعات التي من أجلها نفذت هذه الرسوم الصخرية، نجد أنها كانت البداية الفعلية نحو التطور والإبداع الفني، والقاعدة التي انطلقت منها كل الممارسات الإنسانية خلال الحضارات البشرية المتعاقبة، وهي في الوقت ذاته الرحم الذي ولدت منه الكتابة وتطورت منه الأحرف الأبجدية التي أصبحت وسيلة الاتصال والحوار بين الشعوب، بخاصة أن الرسوم الصخرية كانت تهدف في الأساس إلى إيجاد نوع من الاتصال والتخاطب عن طريق التمثيل المبسط للأشكال، الذي تطور فيما بعد حتى أصبح حروفاً رمزية، ثم لغة يتخاطب بها الإنسان مع أخيه الإنسان.

---

*عميد كلية المجتمع ببيشة وأستاذ التاريخ القديم المشارك بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد– السعودية

Rock Art At Khamis Musheit Area

"Analytical Study Of The Art Styles"

Abstract

The artistic creations of Pre-Islamic Men Arabia dates back to thousands of years. The consistency of subjects and the art content exhibited in rock art throughout the Arabian Peninsula testifies that rock art has played an important role in the social, cultural and religious life of the primitive communities of the region. I hope that the present study could guide us to a better understanding of the Pre-Islamic history in the peninsula.

Rock art represents the artistic creations of the illiterate people at the time. It is the major source of understanding of the communities they lived in.

However, this paper has a two-folded aim. Firstly, it is a documentary study of the cultural activity in the region attempting to identify the rock art of Khamis Mushit area as part of Assir region. Secondly, it opens a wide door for specialists in the field to do further studies about the case.

فن الرسوم الصخرية في منطقة خميس مشيط
(دراسة تحليلية للأساليب الفنية)

أولاً: الرسوم الحيوانية: جاءت الرسوم الحيوانية في محافظة خميس مشيط فقيرة في عددها مقارنة بالمحافظات المجاورة لها سواء أكان ذلك في مجال الرسوم الحيوانية أم الآدمية، وإن كنا نجد أن عدد الحيوانات التي صورها فنانو المنطقة قليلة جداً إذا ما قورنت بمثيلاتها في المحافظات المجاورة بخاصة تثليث وبيشة[٢]. ولعل السبب من وجهة نظري في قلة الرسوم الصخرية في هذه المحافظة يعود إلى طبيعة تكوينها الصخري الذي لا يسمح للفنان بالنقش أو الرسم على واجهات صخورها الصلبة أو الخشنة، وإذا ما نجح الفنان بعد جهد ونصب في رسم لوحة فنية، أو في نقش تذكار معين فإن استمرارية تخليد هذا العمل الفني غير مضمونة نظراً لكون صخور المنطقة من الصخور الجرانيتية ذات الطبقات المتحللة، وقد رأينا آثار كثير من اللوحات الفنية والنقوش على بقايا مثل هذه الطبقات الصخرية المتهالكة، بخاصة في منطقة "المضة"[٣]، التي يوجد بها كثير من الرسوم الصخرية التي أصبح يصعب تمييزها، بخاصة موقع "الوحي"[٤]، و"مسيل"[٥]، إضافة إلى موقع "الزبران"[٦]. كما تنتمي بعض هذه الصخور إلى نوع الأندسيت والفرانو أندسيت وهي صخور صلبة ذات لون بني داكن يصعب الحفر عليها. وفي بعض مناطق المحافظة تسود صخور الشيست (الصفاح)، وهي صخور هشة وبعضها تحمل أكاسيد معدنية، وهي في الغالب ليست صالحة للرسوم الصخرية. وهذا هو السبب في ندرة الرسوم والنقوش الصخرية في المحافظة.

هذا ويتمثل فن الرسم الصخري في هذه المحافظة في الرسوم الحيوانية، والرسوم الآدمية، والوسوم القبلية، وبعض الرموز والعلامات المبهمة التي لا تزال في حاجة إلى دراسة متعمقة لمعرفة الأغراض الحقيقية وراء تنفيذ مثل هذه الرسومات. ونعرض هنا هذه الأنواع لتعريفها وتحديد أماكن وجودها، ووصفها، ومحاولة كشف المدارس الفنية -إذا جاز التعبير- التي أنجزت هذه الفنون الجميلة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الرسوم الحيوانية:

١) **الإبل:** وجدنا في المنطقة أن الجمال إلى حد بعيد غالباً ما تكون أكثر الحيوانات التي تم رسمها، وهذا مما يوضح الأهمية المعطاة لهذه الحيوانات من قِبل فناني المنطقة في عصورها القديمة، ولا غرو في ذلك فاستئناس الجمل واستخداماته

المتعددة، والأوجه المختلفة لحياته، جعلت له مكانة كبيرة لدى سكان الجزيرة العربية، إلى درجة أنه سيطر على خيال الفنان قديماً، فظهر ذلك طاغياً على مصوراته ورسوماته لهذا الحيوان . هذا من جهة، ومن جهة أخرى توحي لنا كثرة رسوم الجمال عن غيرها بوجود بيئة صالحة ومراع مناسبة لهذه الحيوانات المهمة في حياة سكان هذه المنطقة. وليس معنى هذا أن الجمل هو أول ما عرفه الإنسان في الجزيرة العربية؛ فمن المعروف أن الجمل ظهر متأخراً جدا عن الماشية في الجزيرة العربية، وإن كان الخلاف لا يزال قائماً بين الباحثين حول بداية استئناس الجمل(٧). ولا شك في أن استئناسه في هذه المنطقة يشير إلى عقد اجتماعي - سلوكي بين الإنسان وبعض الحيوانات التي نجح الإنسان في تدجينها وأصبحت تفضل العيش بجانبه(٨).

وفي اللوحة رقم (١) تصور لنا عملية تدجين الجمال بوساطة مجموعة من الأفراد الذين ظهروا وهم يركبون على ظهورها، كما يلاحظ في وسط اللوحة من الأسفل أحد الجمال وهو مربوط الأرجل، وهو مما يدل على استئناس الجمل. ونشاهد في لوحة أخرى (٢) مجموعة من الجمال المستأنسة، ومن الصعب تحديد تواريخ هذه الرسومات نظراً لعدم وضوحها، ولكن من الملاحظ اختلاف طبقة العتق (التقادم) بينها وبين النقش الإسلامي المبكر الذي يعلوها.

٢) **الخيول:** في اللوحات التي عثرنا عليها لا يوجد أشكال فردية للخيول؛ إذ إن جميع الرسومات أظهرت الخيل بمصاحبة الإنسان،ولم نعثر على رسوم للخيول الوحشية وجدت مناظرها في بعض مناطق عسير(٩)، وفي مواقع العصر الحجري الحديث المبكر والأخير في منطقة جبة، والمليحية في شمال شرق الجزيرة العربية(١٠)، وفي الحناكية ومناطق القصيم، وحائل،والنقرة،ومهد الذهب في الوسط الشمالي من المملكة العربية السعودية(١١). وقد جاءت أشكال الخيول في المرتبة الثانية بعد الجمال في مصورات فناني هذه المنطقة، وهو الأمر الذي يؤكد أيضاً أهمية هذا الحيوان في حياة الإنســان، وقد جاءت أشكال الجياد في هذه الرسومات في حالة حرب، ففي اللوحة رقم (٣) نلاحظ مجموعة من الفرسان يقاتلون على صهوات جيادهم ويحملون في أيديهم رماحاً طويلة أو بعض المدي والقطع الخشبية، كما نلاحظ الأمر نفسه في اللوحة رقم (٤). ومن الصعب تحديد العصر الذي رسمت فيه هذه اللوحات، ولكن من المؤكد أن اللوحتين السابقتين قد رسمتا في عصرين مختلفين عن بعضهما البعض، ويتضح ذلك من خلال اختلاف غشاء العتق (طبقة التقادم)، إضافة إلى اختلاف الأسلوب الفني، وهذا مما يؤكد أن كلا اللوحتين قد رسمت في عصر مختلف بل إننا نجد هذا الاختلاف حتى في اللوحة الواحدة، وهذا ما يظهر في

اللوحة رقم (٤)، حيث نلاحظ أن غشاء العتق في رسمة أحد الجياد أحدث من رسوم الجياد الأخرى، كما أن أسلوبها الفني مختلف، وفي اللوحة رقم (٥) نلاحظ حيواناً غير واضح الملامح قد يكون جوادا، وقد يكون حماراً، حيث لا يبدو الرأس بوضوح، ويظهر كأنه تعرض لأحد السهام التي اخترقت جسمه.

٣) **الوعول:** كثيراً ما شاهدنا حيوان الوعل في رسومات منطقة عسير في مناظر صيد بوصفه فريسة أو متعقباً ومطارداً أو محاطاً بالكلاب التي كانت تشارك الإنسان في صيده، وكثيراً ما نشاهدها في قطعان متوحشة، وجاءت مناظرها وقد صيدت بالرماح التي تخترق أجسادها، كما ظهرت الوعول كذلك في رسومات المنطقة في مناظر طقوسية بجانب البشر الذين كانوا يقدمون هذا الحيوانات وغيرها كقرابين للآلهة[١٢].

غير أن الرسومات التي عثرنا عليها في هذه المنطقة لحيوان الوعل تخلو من الأغراض السابقة، حيث شوهد في هذه المصورات منفرداً وإن كان يبدو من بعض الرسومات أنه متوحش كما في اللوحة رقم (٦)، وفي اللوحة رقم (٧) نشاهد رسمة لوعل ذي قرنين طويلين معقوفين إلى الوراء، ويبدو في صورة هادئة، ولا يظهر عليه الفزع.

٤) **الأبقار:** لم نعثر في الأجزاء التي تم مسحها من منطقة البحث[١٣] على رسوم كثيرة للأبقار، وإن كان من بين الرسوم التي عثرنا عليها لوحة عثر عليها في هضبة "الذلان"[١٤]؛ ففي هذه اللوحة رقم (٨) نشاهد رسمة لبقرة كبيرة وبتفاصيل طبيعية تقريبا[١٥].

ثانياً: الرسوم الآدمية: هناك مجموعة من الرسوم الآدمية نفذت بأساليب فنية متنوعة، على نحو يدل على وجود مدارس فنية مختلفة قامت بتنفيذ هذه الرسوم، وفي حقب زمنية متباعدة، ومن أبرز هذه الأساليب ما يأتي:

الأشكال الطبيعية وشبه الطبيعية:

تمكن الفنان في مصوراته للأشكال الآدمية الطبيعية أو شبه الطبيعية من تمييز أعضاء الجسم ابتداءً من الرأس والأيدي والجذع والأرجل، بل حاول أن يظهر هذه الأعضاء في حالة حركة فجاء الشكل كما لو كان في وضع راقص؛ اللوحة رقم (٩)، وقد وجدنا هذا الأسلوب في الأشكال المماثلة في شمال المملكة العربية السعودية[١٦]، ويؤرخ للأشكال المرسومة بسمات جسمانية واقعية في حقبة ما قبل التاريخ، وتعد هذه الأنواع من الرسوم الصخرية قليلة بالنسبة للمملكة العربية السعودية، حيث توجد في مواقع محددة داخل منطقة عسير، وبالقرب من آبار حما بمنطقة نجران، وفي منطقة الحناكية، ومنطقة جبة، وقد كشف البعض

منها عن طريق فرق المسح الأثري الشامل الذي تنفذه وكالة الآثار والمتاحف في أراضي المملكة العربية السعودية[١٧]، في حين كشف الباحث عن رسوم جديدة في منطقة عسير[١٨].

وقد عثر أيضاً على أشكال آدمية بالحجم الطبيعي في محافظة خميس مشيط والمراكز التي تتبعها؛ ومنها: رسمة لمحارب عثر عليها في موقع "مسَّيل" بالمضة حيث نشاهد في هذه الرسمة اللوحة رقم (١٠) الأذرع نصف مرفوعة بأصابع مفتوحة، والرأس غير واضح، والشعر ملفوفاً وقصيراً، ويتدلى من الجانبين إلى ما قبل الأكتاف، وتبدو الرقبة نحيلة، والخصر نحيلاً والسيقان مستقيمة، ويتمنطق الفارس في الوسط بسيف أو خنجر موضوع في حزام يلف الوسط. وقد شاهدنا مثل هذه الرسومات في منطقة تثليث[١٩]. وفي منطقة أبها[٢٠].

ولعل أهم الرسوم الآدمية في المنطقة مدار البحث تلك التي عثرنا عليها في موقع "الزبران" في بلاد بني بجاد إلى الجنوب من خيبر الجنوب بحوالي ثلاثين كم، ففي إحدى الهضاب[٢١] وجدنا صخرة كبيرة يبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار تقريباً، وعلى واجهة الصخرة توجد رسمة لفارسين بالحجم الكبير، حيث يبلغ طول الواحد منهما حوالي ٢,٥ م تقريباً[٢٢].

وفي اللوحة رقم (١١) نجد أن الرسمتين متماثلتان، وهو مما يؤكد لنا أنهما لفنان واحد، ونلاحظ هنا أن المنظر أمامي والذراع الأيمن نصف مرفوع ويحمل رمحاً والذراع اليسرى نصف ممدودة نحو الوسط ويحمل ترساً مستطيل الشكل[٢٣]، وغطاء الرأس يشبه التاج أو الخوذة، حيث نشاهد أنه يخرج من غطاء الرأس ثلاث ريشات إلى الأعلى، وظهر الصدر مزيناً، وإن كان حجم الزينة في الرسمة اليمنى أكبر منه في الرسمة اليسرى، مع ملاحظة أن الأرجل شبه مثنية، على نحو يوحي لنا بالحركة. وقد حاول الفنان أن يظهر تفاصيل الجسم الدقيقة، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد. ومن الملاحظ في هاتين الرسمتين تشابههما الكبير مع تلك التي وجدت في كل من بلاد "آل سرحان"، و "آل يزيد" إلى درجة أنه يخيل إلينا أن هذه الرسوم لفنان واحد، وقد تكون كذلك، يدعم ذلك قرب الموقعين من بعضهما من بعض[٢٤].

هذا ويمكن أن نشاهد في هذه اللوحة تحت صورة الفارس الأيمن رسمة لنعامة، وهي الرسمة الوحيدة التي عثرنا عليها في هذه المنطقة للنعام، وندرة رسوم النعام لا يعني قلة وجوده في المنطقة، لكن السبب يعود -كما أسلفت- إلى عدم وجود الصخور الملائمة لممارسة فن الرسوم والنقوش الصخرية عليها. أما صورة الفارس الثاني فنشاهد تحتها رسمة لوعل ذي قرنين طويلين معقوفين إلى

الوراء، كما نلاحظ بقايا مجموعة من النقوش الثمودية التي اندثرت بسبب تهالك الطبقة الصخرية التي كتبت عليها وتساقط أجزاء كبيرة؛ انظر منها اللوحة رقم (١٢) التي ربما كانت تحوي عدداً من النقوش والرسوم الصخرية، وهو الأمر الذي أدى إلى فقدان هذه المدونات الصخرية التي ربما كانت تحوي لنا بعض المعلومات المهمة عن التسلسل التاريخي والحضاري لهذه المنطقة بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة.

وعلى بعد حوالي ١ كم إلى الجنوب الشرقي من بئر كتنة الأثرية[٢٥] عثر على رسمة لفارس بالحجم الطبيعي، وقد ظهر وهو يحمل في يده اليمنى رمحاً وفي يده اليسرى ترساً، ويبدو في وضع أمامي، ولا يوحي منظره بأي أسلوب حركي، وبدا يلبس على رأسه شيئاً ما قد يكون خوذة أو غطاء آخر للرأس انظر اللوحة رقم (١٣)[٢٦]، وتشبه هذه اللوحة تلك التي عثر عليها في هضبة "أم الثفاء"، ببلاد "آل سرحان"[٢٧].

وفي موقع "الوحي" التابع لمركز المضة تم العثور على رسمة لفارس آخر يحمل في يده اليمنى رمحاً، ويتمنطق عند خاصرته بسيف، ويده اليسرى نصف مرفوعة إلى الأعلى وبأصابع مفتوحة، وفي الإطار الصخري الذي يحمل هذه الرسمة منظر لشكل تخطيطي مستطيل الشكل، والغرض منه غير واضح، كما أن هذه الرسوم أصبحت ترى بصعوبة بالغة، نظراً لتحلل الطبقة الصخرية الحاملة لها. انظر اللوحة رقم (١٤).

ولعل أبرز ما يميز الرسوم الآدمية ذوات الأشكال الطبيعية في هذه المنطقة هو وجود عدد من أشكال الرءوس الآدمية ذوات الذقون الطويلة، وقد عثرنا عليها في موقع "الوحي" بالمضة، وعلى بعد حوالي ٢كم من المضة فوق إحدى الصخور الواقعة على يمين الطريق العام للمتجه من المضة إلى تثليث[٢٨]، التي جاءت على شكل مثلث، قاعدته في الوجه ورأسه إلى الأسفل؛ كما في اللوحات (١٥، ١٦، ١٧)، وتنقسم هذه الأشكال من حيث الأسلوب الفني إلى نوعين: هما:

النوع الأول: بمثابة رءوس بيضاوية الشكل تقريباً، ونلاحظ في هذه الأشكال أن الرسام قد أكمل هنا الإطار الذي يحدد الرأس والوجه، وقام بتفريغ منطقة الذقن وكافة الوجه بوساطة الدلك، باستثناء العينين والأنف والفم، (انظر اللوحات السابقة: (١٥، ١٦) وتوجد هذه الأشكال تحديداً في مركز "المضة".

النوع الثاني: أشكال لثلاثة رءوس دائرية الشكل، كما نشاهد في اللوحة رقم (١٧)، ومن الملاحظ أن الفنان هنا لم يقم بإكمال الإطار الذي يحيط بالرأس والوجه كما فعل زميله في أشكال النوع الأول، كما أنه لم يعمد إلى تفريغ منطقة الوجه باستثناء منطقة الذقن، وإن نجح في إبراز العينين والفم عن طريق تحديدهما بخطوط

رفيعة. ونستشف مما سبق أن هذه الأشكال من الأطراف البشرية قد رسمت بوساطة أكثر من رسام، وهو مما يدل على تعدد المدارس الفنية في هذه المنطقة.

ومن غير المعروف ما ترمي إليه هذه الأشكال البشرية، وإن كنت أعتقد أن الرسامين في هذه المنطقة بخاصة يرمزون من خلال مصوراتهم هذه إلى بعض معبوداتهم المحلية، بخاصة أن هذه الرسوم قد وجدت في مناطق صخرية مرتفعة، ومثل هذه المواقع كانت أماكن مناسبة للتعبد وإقامة المعابد لدى قدماء سكان الجزيرة العربية[٢٩]، ولم ألحظ حولها أي أثر لأي بناء يمكن أن يكون بقايا لمعبد، وربما أن الطقوس الدينية كانت تمارس في الكهوف والغيران التي تنتشر في المنطقة، وهي أماكن كانت مناسبة للتعبد وممارسة الشعائر الدينية عند القدماء[٣٠]، وإن كان بحثنا عن آثار لأماكن العبادة لم يغط كافة المنطقة المعنية بالبحث. وعلى أية حال فقد تكشف لنا دراسة النقوش الصخرية المصاحبة لبعض هذه الرسوم حقيقة هذه الأشكال البشرية، بخاصة أنها تبدو معاصرة لها، وهذا ما سيضطلع به الباحث مستقبلاً بعد الانتهاء من دراسة الرسوم الصخرية في المنطقة.

وإلى جانب رسوم الرءوس البشرية يوجد هناك أيضاً عدد من رسوم الأيدي، صور البعض منها مصاحباً لأشكال الرءوس في النوعين السابقين، ففي اللوحة رقم (١٦) نرى الفنان وقد صور اليدين من مفصل الكتف، كما قام بتفريغ كافة إطار اليد، وترك راحة اليد مع تفريغ وسط الراحة وترك البقية على طبيعته -أي بلون الصخر - فأعطى لنا منظراً جمالياً يشبه نقشة الحناء، وترك أيضاً أصابع اليد مفتوحة ومستقيمة. وفي رسمة الذراع المصاحبة لأشكال الرءوس البشرية في النوع الثاني اللوحة رقم (١٧) نشاهد الفنان وقد صوَّر اليد من مفصل الكتف بأصابع مفتوحة ومستقيمة كذلك، ولكنها تختلف عن سابقتها من حيث إن الفنان هنا قد حدد اليد بإطار خارجي، ولم يقم بتفريغه من الداخل كما في منظر اليد الأولى باستثناء تفريغ وسط راحة الكف. وفي اللوحة رقم (١٨) نلاحظ ذراعاً أخرى بأصابع مفتوحة ومستقيمة، وإن كان تنفيذها أقل فنياً من سابقتها، وهذا يؤكد لنا تعدد المدارس الفنية التي قامت بتنفيذ هذه الأطراف البشرية، كما يؤكد لنا اختلاف مهارة الرسم من فنان لآخر.

هذا ومن الصعب أن نحدد الأغراض التي من أجلها قام الرسامون برسم هذه الأجزاء البشرية، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأوضاع المختلفة للأطراف البشرية لم يكن رسمها عبثاً وإنما كان يهدف لأغراض محددة ما زالت بالنسبة لنا مجهولة. وقد يكون لأشكال الرءوس والأيدي البشرية هذه علاقة بالسحر والشعوذة، فهل يكون لذلك علاقة مثلاً بقراءة الكف؟ عموماً يظل هذا السؤال بحاجة إلى إجابة من قِبل الدارسين والمختصين في مجال الرسوم الصخرية، وإن كان هناك من يعتقد أن لآثار الأيدي والأرجل علاقة ببعض أشكال المعبودات الوثنية[٣١].

الأشكال العودية:

تمكن الإنسان بعد ذلك من أن يتدرج في رسوماته للأشكال الآدمية من الأسلوب الواقعي إلى الأسلوب العودي بالغ التخطيط، حيث إن سماتها الآدمية تخطيطية جدا إلى الحد الذي تصبح فيه السمات الجنسية لهذه الأشكال غير واضحة، ويصعب معها التفريق بين أشكال الذكور والإناث، نظراً إلى كونها نفذت بأسلوب تخطيطي يعد أدنى مرحلة من التخطيط، أو لكونها مختزلة أو مكبرة أو ناقصة أو معدلة إلى حد بعيد، مع محافظتها على أوجه الشبه بالشكل الآدمي من حيث هيئة الجسم بشكل عام أو الجذع أو الرأس ومن ثم يمكن عدها رسوما آدمية، وهي لا تختلف في أسلوب تنفيذها عن تلك التي عثرنا عليها في منطقة "ألفية" بأبها [٣٢]، حيث رسم الجسم مستقيماً، والذراعان ممدودتان على مستوى الكتف بشكل مستقيم، والرأس غير واضحة، والأرجل مفتوحة كما في اللوحتين (١٩، ٢٠)، وهناك من يرى أن الأوضاع المختلفة للأطراف البشرية ربما ترمز إلى غرض معين[٣٣]، وهذا من وجهة نظري صحيح؛ فمن غير المعقول أن يبذل الرسام كثير من الجهد والوقت لرسم هذه الأطراف البشرية وبأوضاع مختلفة بدون هدف محدد، وإن اختلف الغرض من حقبة لأخرى أو من بيئة لبيئة أخرى[٣٤].

ثالثاً: الرسوم والعلامات

جاءت الرسوم التي تدل على الملكية سواءً للفرد أو للجماعة قليلة في هذه المنطقة، وهذا قد يعطي لنا انطباعاً عن حجم القبائل والجماعات البشرية التي عاشت هناك[٣٥]. وعلى العكس من ذلك ينتشر في المنطقة كثير من الرموز والعلامات التي استخدمها الإنسان إما للتعبير بها عما في نفسه تجاه شيء معين، وإما من باب الاستدلال بها على مواقع المياه كالعيون والآبار مثلاً، وكان يرمز إلى ذلك من خلال رسمه دائرةً تشبه "المحالة" أو دائرة يخرج منها خط مستقيم ويعبر بها عن "الدلو" الذي يجلب به الماء من البئر أو العين، والمحالة هي الآلة التي تستخدم في نزع الماء، وتكثر مثل هذه العلامات في مناطق خيبر الجنوب (موقع: الشريان) والمضة، ويمكن رؤية مثل هذه العلامات من خلال اللوحة رقم (٢١).

وجاءت بعض الرموز غامضة ومبهمة، ومن غير المعروف ما ترمز إليه، وذلك كما في اللوحتين (٢٢)، (٢٣)، وإن كنت أظن أنها ربما كانت ترمز إلى بعض أدوات القتال التي كان يستخدمها الفرسان في عصر ما قبل الإسلام كالترس أو الدرع، بخاصة وأن بعض هذه العلامات تشبه إلى حد كبير التروس التي نراها في أيدي الفرسان والمصورين على هضبة "الصبايا"بموقع "الزبران"، وهذا ما نراه في اللوحة رقم (٢٤)، ومن المحتمل أن النقوش المصاحبة لبعض هذه الرموز والعلامات لها صلة بها، ودراسة مضامين هذه النقوش وتحليلها سوف يوضح لنا ذلك.

وهناك علامات كعلامة "السهم" استخدمت لتحديد الاتجاه أو للإشارة إلى موقع معين؛ كالإشارة إلى الآبار أو موارد المياه، وأصبحت هذه العلامة حافزاً كبيراً لدى العابثين بالآثار والباحثين عن الكنوز، فهي تشير في نظرهم إلى موقع الغلة (الكنز)، ووجود مثل هذه العلامة يكون نذير شؤم على ما حولها من الرسوم والنقوش الصخرية، حيث شاهدنا كثيراً من الآثار وقد دمرت أو عبث بها في إطار البحث عن الكنوز من قبل بعض الجشعين الذين يعبثون بكل أثر يقع تحت نظرهم، في ظل غياب الوعي الأثري بين المواطنين، وعدم اضطلاع الجهات المعنية بمسئولياتها في الحفاظ على المواقع الأثرية.

نظرة حول فن الرسوم الصخرية في المنطقة:

أولاً: المشكلات التي تواجهنا عند دراسة الرسوم الصخرية:

لا شك في أن عملية التعرية الجوية لأسطح الصخور، واختلاف درجة التقادم (غشاء العتق) والنقر والأخاديد التي أحدثها الفنان، إضافة إلى الأحجار والأدوات المختلفة والمستخدمة في الرسم هي عوامل مساعدة في معرفة الرسومات الصخرية التي أنجزها فنانون مختلفون خلال مختلف العصور، وعند محاولة تحديد تاريخ الرسوم الصخرية في هذه المنطقة نواجه بعدد من المشكلات والمصاعب، ومنها: غياب الدليل الأثري عن حركة الاستيطان في هذه المنطقة وفي غيرها من مناطق المملكة، سواء أكان ذلك في العصور التاريخية أم في عصور ما قبل التاريخ، إضافة إلى انعدام الحفريات بخاصة في الأماكن التي توحي بأنها كانت مراكز استيطان بشري، ومن المشكلات كذلك نوعية الصخور الحاوية للرسوم والنقوش الصخرية في المنطقة، التي ليست مقاومة لعوامل التعرية، وهذا مما أدى إلى فقدان كثير من هذه الرسومات، كما أن بعضاً منها لم يعد بحالة تسمح لنا من خلالها بتمييزها، فضلاً عن أن ما تبقى من هذه الرسومات في هذه المنطقة التي لا تزال بحالة جيدة معرضة لخطر الاندثار، ومن المخاطر التي نواجهها كذلك التراكمات الرسوبية وتحرك الرمال التي محت كثيراً من المعالم الأثرية، ومن المشكلات كذلك التدمير والتخريب الذي تتعرض له الآثار في هذه الآونة من بعض الجهلة والسفهاء، إما بدعوى البحث عن الكنوز، وإما رغبة في الحصول على بعض الآثار المنقولة التي يسهل حملها لغرض بيعها والمتاجرة بها، وقد انتشرت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة وبشكل مخيف، بخاصة بعد ما شاع بين أهالي المنطقة خبر بيع أحد الأفراد – في منطقة العرين– لتمثال بثمن مالي كبير[٣٦].

ثانياً: الأساليب الفنية والتقنيات المستخدمة في الرسم:

فيما يتعلق بالأساليب الفنية التي يتبعها الفنانون، نجد أن الفنان قد استخدم عدة أساليب؛ ففي الرسوم الحيوانية نشاهده وهو يرسم بأسلوب النحت الكلي الخفيف، أو

بأسلوب النحت الكلي العميق، كما استخدم تحديد الإطار العام للشكل المراد تنفيذه بوساطة خطوط رفيعة، وقد نجح في هذا الأسلوب إلى حدٍ ما في إبراز تفاصيل الجسم المراد رسمه، وإن أخفق في بعض الحالات في تحديد ذلك، ومن الواضح أن الفنان كان يعمد إلى هذا الأسلوب عندما يكون الشكل المراد رسمه كبير الحجم، نظراً لصعوبة الصخور التي يرسم عليها وصلابتها، وربما رغبة منه في توفير الوقت والجهد الذي يبذله في النحت، ومن اللافت للنظر أن مجمل الرسامين القدامى لمناطق محافظة خميس مشيط كانوا يصورون الأشكال الحيوانية في وضع جانبي، مع محاولاتهم إظهار كثير من رسوماتهم في وضع الحركة.

ومن المحتمل أن الرسامين الذين قاموا برسم هذه الأشكال الحيوانية على هذه الصخور كانوا رعاة يتجولون في المنطقة، ومن ثم فإننا نفترض أنهم كانوا يعيشون في جماعات بالقرب من هذه الأماكن، لذا فإن البحث عن المراكز الاستيطانية لهذه الجماعات يجب ألا يبتعد كثيراً عن مواقع الرسوم.

وقبل أن أختتم هذه الجزئية أحب أن أؤكد أن أشكال الحيوانات التي رسمها الفنانون في هذه المنطقة لابد لها أن تكون مستوحاة من البيئة المحلية ومن الحيوانات التي كانت تعيش بجانبهم، أو تلك التي كانوا يشاهدونها، وكانت مألوفة في حياتهم، ومن الصعب أن نتصور أن أيا منهم كان باستطاعته رسم هذه الأشكال الحيوانية وبالتفاصيل الدقيقة التي تتسم في غالبها بالواقعية، من غير أن يكون رآها أو شاهدها من قبل.

أما بشأن الرسوم الآدمية، فمن الملاحظ أن فناني المنطقة لم ينزعوا في رسوماتهم إلى نحت الأشكال الآدمية بأساليب مختلفة كما فعل أقرانهم في مناطق تثليث وبيشة مثلاً، أو في غيرها من مناطق المملكة، وجاء استخدام رسامي حقب ما قبل الإسلام في رسم الأشكال التخطيطية والتجريدية ضعيفاً، كما أن محاولاتهم في رسم الأشكال بكثير من التفاصيل الطبيعية نادرة، و أخفقوا في الأشكال التي نفذوها بهذا الأسلوب في التمييز بين الجنسين نظراً لغياب عضو الذكورة، وعدم المقدرة على تمييز الإناث نتيجة لعدم إظهار السمات الأنثوية الرئيسة، مثل إبراز الثديين، أو مثلث العانة، وإن كانوا قد عبروا عن الأشكال الأنثوية ببروز المؤخرة أو بالشعر المجدل الطويل.

أما الأشكال المرسومة بالحجم الطبيعي وبالتفاصيل الجسمانية الدقيقة، فقد طغت على أساليب الرسامين، وإن كانت جميع* هذه الأشكال لذكور؛ حيث جاءت الرسوم الطبيعية لهذا النوع لفرسان ومحاربين بأسلحتهم وعدة قتالهم، وباستثناء بعض الأغراض التي يمكن أن نستوحيها من خلال بعض المناظر، فقد غابت الرسومات الخاصة بالأغراض الاجتماعية والدينية التي شاهدناها في كثير من

مناطق عسير.كما أن الغرض من الرسومات الطبيعية لبعض أجزاء الجسم كالرأس واليد لا يزال غامضاً ومبهماً، وقد يكون البعض منها يرمز إلى بعض الممارسات التعبدية، كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات[٣٧].

وفن الرسم الصخري في هذه المنطقة مثير للاهتمام فيما يختص بالأسلوب في وضع الملابس الآدمية والأسلحة، وفي معظم الرسومات ذات الحجم الطبيعي نرى مجموعة من الأسلحة؛ مثل الرماح بخاصة عند راكبي الخيول والجمال، كما نشاهد الرماح والخناجر والسيوف، وجاءت رسوم الفرسان بالحجم الكبير وهم يحملون في أيديهم اليمنى الرماح وفي اليسرى التروس التي رسمت الجوانب الأربعة منها بأسلوب مبالغ فيه، وتشبه هذه التروس تلك التي عثر عليها في لوحة مقبرة (بني حسن) الفرعونية[٣٨].

أمَا عن تاريخ هذه الرسوم فإنه يصعب علينا في الوقت الراهن تحديدها، ولكن يمكن مبدئيا القول إن الأشكال الواقعية وشبه الواقعية التي تتميز بالمهارة العالية والإبداع الفني تنتمي إلى العصر الحجري القديم، والحقبة المدة المحصورة التالية لذلك العصر أي في ما بين عامي ٩٠٠٠ –٧٠٠٠ق.م، وقد اعتمدنا في ذلك على مقارنة تلك الرسوم بمثيلاتها في شمال المملكة العربية السعودية، التي يؤرخ لها بالمدة نفسها، في حين أن الرسوم المختزلة تعود إلى العصر الحجري الحديث والحقبة التالية لذلك العصر، التي حدث فيها تحول في مجال الأسلوب والمعنى، ولا بد أن هذا التحول قد تم بصورة تدريجية ولم يحدث فجأة[٣٩]، وعلى كلٍ فإن هذا الاعتقاد ما زال بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة.

أمَّا عن تقنيات الرسم المستخدمة هنا، فمن الملاحظ أن الفنان كان يستخدم في تنفيذ رسوماته على الصخر أسلوب السحق أو الدلك، ويتم ذلك بوساطة استعمال أداة حجرية، وربما أنه كان يستعمل بعض الأدوات الأخرى؛ إذ كان يعمد إلى تحديد إطار الشكل المراد تنفيذه ثم يقوم بتفريغ ما بداخله عن طريق الدلك إما بحجر وإما بأية أداة أخرى، فيظهر لنا بذلك صورة أو رسمة فنية فاتحة على صخرة قاتمة.

أبرز المعلومات المستقاة من الرسوم الصخرية:

لا شك في أن علم الآثار يعد المصدر الرئيس الذي يعول عليه في دراسة التاريخ القديم. وصحيح أن دراسة فن الرسوم الصخرية فرع مستقل عن علم الآثار، ولكن الصحيح أيضاً أنه ليس موضوعاً منفصلاً عنه، بمعنى أن علم الآثار وفن الرسوم الصخرية يمثلان جزءا من موضوع واحد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر[٤٠]، بل يجب دراستهما جنباً إلى جنب، فإذا كانت الحضارة المادية المتمثلة

في الأدوات المصنعة والمشغولات والتجسيد من صنع الإنسان، فإن الرسوم الصخرية أيضاً من عمل الإنسان وإبداعاته، ومثلها مثل أي نتاج آخر من صنع الإنسان يهتم به علم الآثار.وهي بهذا تعد سجلا من سجلات الماضي يكشف عن أنشطته واقتصاده وبيئته ومعتقداته، وعن المواد التي اعتمد عليها إنسان الماضي في معاشه من حيوان ونبات، وتقدم لنا الحياة الحيوانية والنباتية العون في إعادة تشكيل البيئة والظروف المحيطة، فضلاً عن العوامل الجغرافية السائدة، وهذا العمل لا يستطيع علم الآثار وحده أن يقدمه لنا(٤١).

وتساعد الرسوم الصخرية على معرفة بعض الجوانب من تاريخنا القديم الذي ما زال يرزح تحت وطأة الأسطورة، بل لا يزال كثير من فصوله وحوادثه قابعاً تحت التراب، وبين جنبات الأطلال القديمة. إن خير ما يمكن أن تستقى منه مادة التاريخ هي الحقائق المادية التي نعثر عليها في شقفة فخار أو في نقش أو رسمة على صخرة، أو في قطعة عملة. وتأسيساً على ما سبق فإنه يمكن القول إن الرسوم الصخرية هي سجل للعصور القديمة بخاصة عصور ما قبل التاريخ، وهي بهذا تمدنا بمعلومات ثرية يمكن أن نستوحيها من خلال هذه الرسوم، ويمكن أن نجمل بعض هذه المعلومات في النقاط الآتية:

١- في المجال الاقتصادي توضح لنا مناظر الصيد أسلوب الإنسان القديم في بحثه المضني عن طعامه، كما تبين لنا أنواع الحيوانات التي كان يطاردها ويفضلها بوصفها غذاء له، بخاصة الوعول والغزلان، كما تساعدنا مناظر الصيد على تعرف أنواع الأسلحة التي كان يستخدمها الإنسان في اصطياد فرائسه، بل تكشف لنا المراحل التي مرت بها صناعة أدوات الصيد، ومن أبرزها الرماح، والسهام، والخناجر، والدروع، والتروس، والمدي، والقطع الخشبية، ويمكن مشاهدة ذلك من خلال اللوحات السابقة.

وأبرزت لنا الرسوم الحيوانية كذلك أنواع الحيوانات التي نجح الإنسان فيما بعد في تدجينها لتحقيق استقراره وأمنه الغذائي، أو لاستخدامها في أسفاره وتنقلاته وقتاله بخاصة حيوانات الإبل والخيول التي طغت مناظرها على رسوم المنطقة وعلى خيال الرسامين الذين قاموا بتنفيذها، وهذا مما يؤكد على أنها كانت تمثل أهمية بالغة في حياة سكان المنطقة، وتكشف لنا الرسوم الحيوانية أيضاً عن البيئة الحيوانية التي سادت في المنطقة في حقب زمنية متعاقبة، كما توحي بوجود بيئة صالحة ومراع مناسبة لمثل هذا النوع من الحيوانات.

٢- وفي المجال الاجتماعي نجد أن الرسوم لا تقدم لنا تفاصيل عن الحياة اليومية ولا عن الأنماط السلوكية التي تحكم علاقات الأفراد والجماعات، غير أنه من الممكن أن نستشف من بعض المناظر جانباً من العلاقات الاجتماعية؛ إذ

تصور لنا كثرة المناظر الحربية وتعدد أنواع الأسلحة الحالة الأمنية التي كانت عليها شعوب المنطقة، إذ من الواضح أنه كان هناك اضطراب أمني، وتوتر في العلاقات بين الأفراد والجماعات، وربما كان ذلك بسبب التنافس في الحصول على الرزق، ويبدو أن القوة كانت هي السبيل الوحيد للحياة في عالم لا تحكمه قوانين أو شرائع.

وفي مقابل ذلك لم تكن حياة هذه الشعوب على ما يبدو كلها حروب ومعارك، بل من المؤكد أنه كان يمر على الناس في تلك الحقب الزمنية لحظات من الفرح والسرور، إما بسبب نزول المطر، وإما بسبب رحلة صيد ناجحة، أو لوجود مناسبات أخرى يسعد بها الناس ويحتفلون بها، وقد عبروا عن ذلك من خلال المناظر الراقصة.

٣- كما تشير الوسوم القبلية إلى وجود نوع من الترابط الاجتماعي بين القبائل التي سكنت المنطقة، كما تدل على أنه كان لكل قبيلة وسم خاص يحدد ملكياتها ويعبر عن هويتها، حيث كانت تدمغ هذه الوسوم على أجساد حيواناتهم.

٤- لا تقدم لنا الرسوم الصخرية كذلك تفاصيل دقيقة عن بقية التقاليد الثقافية والنواحي الفكرية والعقائد الدينية لدى تلك الشعوب، اللهم عدا ما يمكن أن نستوحيه من خلال هذه الرسوم، فقد يكون للأشكال الآدمية ذوات الأذرع المرفوعة للأعلى على سبيل المثال، أو تلك التي تظهر في وضع الانحناء أو الركوع علاقة ببعض الطقوس الدينية؛ كالتضرع والتوسل إلى المعبودات، أما بخصوص رسوم الكف فمن المحتمل أن لها علاقة بأعمال السحر والشعوذة؛ كقراءة الكف.

٥- يوحي تماثل المحتويات الفنية والتشابه في ماهية الرسوم الحيوانية والآدمية في هذه المنطقة أو في غيرها من المناطق الأخرى بأن السكان في الجزيرة العربية كانوا متقاربين في أفكارهم وأنماط سلوكهم الاجتماعي.

٦- أما في مجال الأزياء والحلي فنجد أن الرسوم الصخرية في منطقة عسير تكثر فيها الأشكال البشرية وهي مرتدية ملابس طويلة وقصيرة، وأغطية الرأس المتنوعة، ونشاهد بعضاً من رسوم النساء وقد زين صدورهن وآذانهن بالقلائد والأقراط، وغطين رءوسهن، أو صففن شعورهن، وظهرت أشكال الرجال بأحزمة ومشدات للصدر وما يشبه "البلوزات"، أو التنورة، وغطوا رءوسهم بما يشبه التاج أو الخوذة.

وقد رأينا في رسوم الفرسان ذات الحجم الطبيعي أغطية للرأس يخرج منها ثلاث ريش، إضافة إلى الأحزمة ومشدات الصدر، وهذا يوحي لنا بأن إنسان تلك العصور قد اهتم بأزيائه التي يستر بها عورته، كما اهتم بأدوات الحلي والزينة، كما تعطي دليلاً على حياكة الملابس في تلك الآونة بصورة جيدة.

٧- وفي المجال الفني نجد أن الرسوم تختلف في الشكل والأسلوب من حقبة لأخرى، وقد أظهرت الدراسة التحليلية الاتجاه إلى اختزال الرسوم الحيوانية والآدمية، وتتدرج الأشكال الآدمية في هذه المنطقة، من حيث الأسلوب، تحت ثلاث فئات رئيسة، تختلف كل فئة عن الفئات الأخرى. ومن الملاحظ أن التحول من رسم الأشكال الآدمية ذات النزعة الواقعية إلى الأشكال العودية أو التخطيطية والمجردة كان تحولاً منهجياً وليس تحولاً مباشراً أو فورياً، وربما كان التحول في أسلوب الرسم يوحي بتحول تدريجي في الأغراض وأهداف الرسم. ويتضح لنا مما سبق وجود عدد من المدارس الفنية التي تختلف في أنماطها وأهدافها، وفي تاريخها.

٨- أما في المجال الثقافي فنجد أن الرسوم الصخرية كانت البداية الفعلية نحو التطور والإبداع الفني، والقاعدة التي انطلقت منها كل الممارسات الإنسانية خلال الحضارات البشرية المتعاقبة، وهي في الوقت ذاته الرحم الذي ولدت منه الكتابة وتطورت منه الأحرف الأبجدية التي أصبحت وسيلة الاتصال والحوار بين الشعوب، بخاصة أن الرسوم الصخرية كانت تهدف في الأساس إلى إيجاد نوع من الاتصال والتخاطب بوساطة التمثيل المبسط للأشكال، الذي تطور فيما بعد حتى أصبح حروفاً رمزية، ثم لغة يتخاطب بها الإنسان مع أخيه الإنسان[٤٢].

النتائج والتوصيات:

النتائج:

كشفت الدراسة عن وجود كثير من الرسوم الصخرية، وأعادت اكتشاف البعض الآخر، وذلك على النحو الآتي:

١) كشف عددٍ من مواقع الرسوم الصخرية التي امتدت إليها مشروعات التنمية والتوسع العمراني، وهذا مما يجعلها عرضة للتدمير والتخريب في أية لحظة.

٢) كشفت لنا الدراسة أيضاً عدداً من الأساليب الفنية في الفن الصخري، وجود عدد من المدارس الفنية المختلفة، سواءٌ من حيث المهارة في الرسم أو من حيث الهدف والمعنى، وهذا يعني أن هذا الفن قد مر بمراحل متعددة كان يتطور فيها من مرحلة إلى أخرى.

٣) أظهرت الدراسة براعة الفنان في تصوير الأشكال بأحجام طبيعية، كما وظف مهارته بدرجة كبيرة نحو إظهار التفاصيل الجسدية الدقيقة لرسوماته.

٤) كما كشفت لنا الرسوم الصخرية الذوق الفني الرفيع لأصحابها، و الموضوعات التي كانت تشغلهم وتسيطر على مخيلاتهم.

٥) أعطت لنا الدراسة تصوراً عن بعض أنماط الحياة المتنوعة وبعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية، فضلاً عن أنها تساعدنا على استيحاء بعض الأفكار والثقافات التي انتشرت في المنطقة خلال مختلف العصور.

٦) كما قدمت لنا تصوراً عن بعض العلاقات الاجتماعية والروابط القبلية، ويمكن من خلالها أن نتصور وجود عدد من المعبودات الدينية التي ربما سادت عبادتها في المنطقة، كما يمكن أن نستوحي عن طريقها بعض الطقوس الدينية.

التوصيات:

١- تناشد الدراسة الجهات الحكومية ذات العلاقة، سرعة اتخاذ إجراءات احترازية للحفاظ على المواقع الأثرية، وتفعيل نظام العقوبات وحماية الآثار التي تهددها أيدي الجهل والعبث، وتنذر بالقضاء على ما تبقى منها بخاصة المواقع التابعة لمركز المضة، ومركز خيبر الجنوب، وقد وجدت في آخر زيارة لي إلى هذه المواقع اختفاء بعض الرسوم والآثار الأخرى التي كانت لا تزال موجودة في زياراتي الأولى.

٢- تدعو الدراسة الباحثين والدارسين إلى سرعة دراسة النقوش والرسوم الصخرية، في منطقة عسير قبل اختفائها بخاصة وأن يد الإنسان هنا توشك أن تدمر كل ما أقام أسلافه من حضارات وما شيدوه من مدنيات، علاوة على أن آثار المنطقة لا تزال بعيدة عن دائرة اهتمام وكالة الآثار، والدارسين من أصحاب الاختصاص.

٣- توضح الدراسة الحاجة الماسة إلى نشر الوعي الأثري بين المواطنين وطلاب المدارس، وربما يكون من المناسب نشر نظام العقوبات في وسائل الإعلام المختلفة، والتشهير بمن يمارس مهنة الاتجار بالآثار و تهريبها خارج البلاد، أو تدميرها والعبث بها.

اللوحات والخرائط والأشكال

أولا: اللوحات



اللوحة رقم (١) مجموعة من راكبي الإبل، ونشاهد بعض الجمال وهى مربوطة الأرجل، وهذا مما يدل على استئناس الإبل.



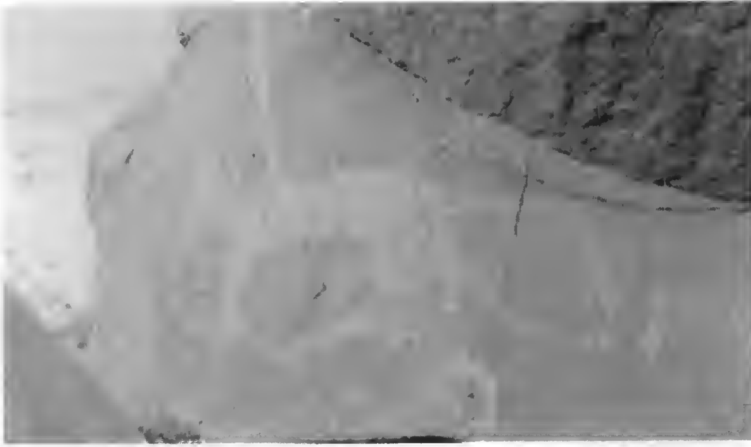
اللوحة رقم (٢) قافلة من الجمال المستأنسة، ونلاحظ اختلاف طبقة العتق (التقادم) بين رسوم الجمال والنقش الإسلامى المبكر الذي يعلوها.



اللوحة رقم (٣) مجموعة من الفرسان يقاتلون من فوق صهوات جيادهم.



اللوحة رقم (٤) منظر لمعركة حربية استخدمت فيها الخيول.



اللوحة رقم (٥) منظر لحيوان رأسه غير واضح المعالم، وقد يكون رسمة لخيل أو حمار، ويظهر في يمين اللوحة من أسفل أحرف بالمسند نفذت بآلة حادة رفيعة.



اللوحة رقم (٦) مشهد لحيوان الوعل بقرون مرفوعة للأعلى.



اللوحة رقم (٧) أحد الوعول بقرون مرفوعة طويلة معقوفة إلى الوراء.



اللوحة رقم (٨) رسمة لبقرة بتفاصيل جسمانية طبيعية (هضبة الزلال- مركز المضة)، ونشاهد في الإطار أشكال لرءوس بشرية بذقون طويلة ، وذراع مزيفة الكف.



اللوحة رقم (٩) أشكال آدمية شبه طبيعية فى وضع راقص.



اللوحة رقم (١٠) فارس يتمنطق في وسطه بسيف أو خنجر (موقع مسيل- المضة).



اللوحة رقم (١١) أشكال آدمية طبيعية، ونشاهد الفرسان وهم يحملون في أيديهم اليمنى الرماح الطويلة وفى اليسرى ترساً ،ويلبسون على رءوسهم ما يشبه التاج ويخرج منه ثلاث ريش.



اللوحة رقم(١٢) بقايا لرسمة وعل وأجزاء من بعض النقوش التموجية أسفل أقدام الفارس الذي يقف في اليسار من اللوحة السابقة ،وتظهر الصخرة الحاملة لهذه النقوش والرسوم الصخرية.



اللوحة رقم(١٣) صورة فارس يحمل في يده اليمنى رمحا وفى اليسرى ترسا، ويغطى رأسه بما يشبه الخوذة.



اللوحة رقم (١٤) منظر لفارس يحمل في يده اليمنى رمحا طويلا ،ويده اليسرى نصف مرفوعة إلى أعلى بأصابع مستقيمة.



اللوحة رقم (١٥) شكل لرأس آدمى بالحجم الطبيعي ،وبجانبها منظر لذراع آدمى من مفصل الكتف بأصابع مستقيمة وكف منقوش.



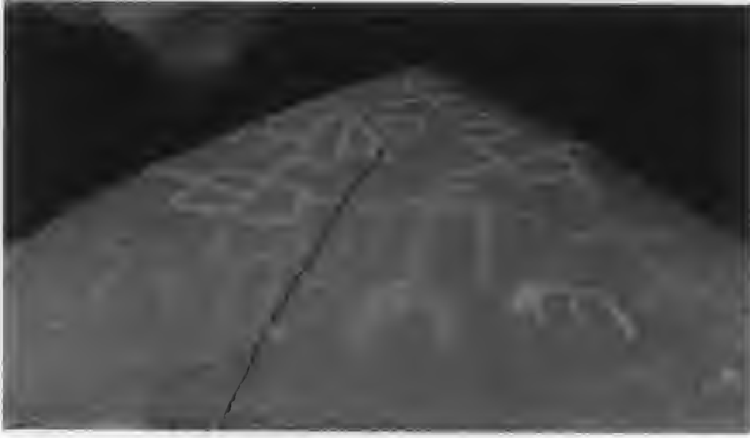
الشكل رقم (١٦) أشكال لرءوس بشرية، وفى الإطار رسمة يد من مفصل الكتف (بالقرب من بلدة المضة)



اللوحة رقم (١٧) رسوم لأيادي بشرية من مفصل الكتف ، بأصابع مستقيمة وتبدو راحة الأيادى منقوشة بما يشبه نقشة الحناء.



اللوحة (١٨) شكل لذراع بشرية بأصابع مستقيمة.



اللوحة رقم (١٩) شكل آدمى بالأسلوب العودي، وتلاحظ أن الذراعين ممدودتان بمستوى الكتف والأرجل مستقيمة.



اللوحة رقم(٢٠) أشكال آدمية بالأسلوب العمودي.



اللوحة رقم (٢١) رسمة ربما يعبر بها عن "المحالة"، وفى الإطار نرى دائرة صغيرة بها حبل ،وهى ترمز في العادة إلى الدلو.



اللوحة رقم (٢٢) إحدى العلامات التي عثر عليها في موقع هضبة "الذلان".

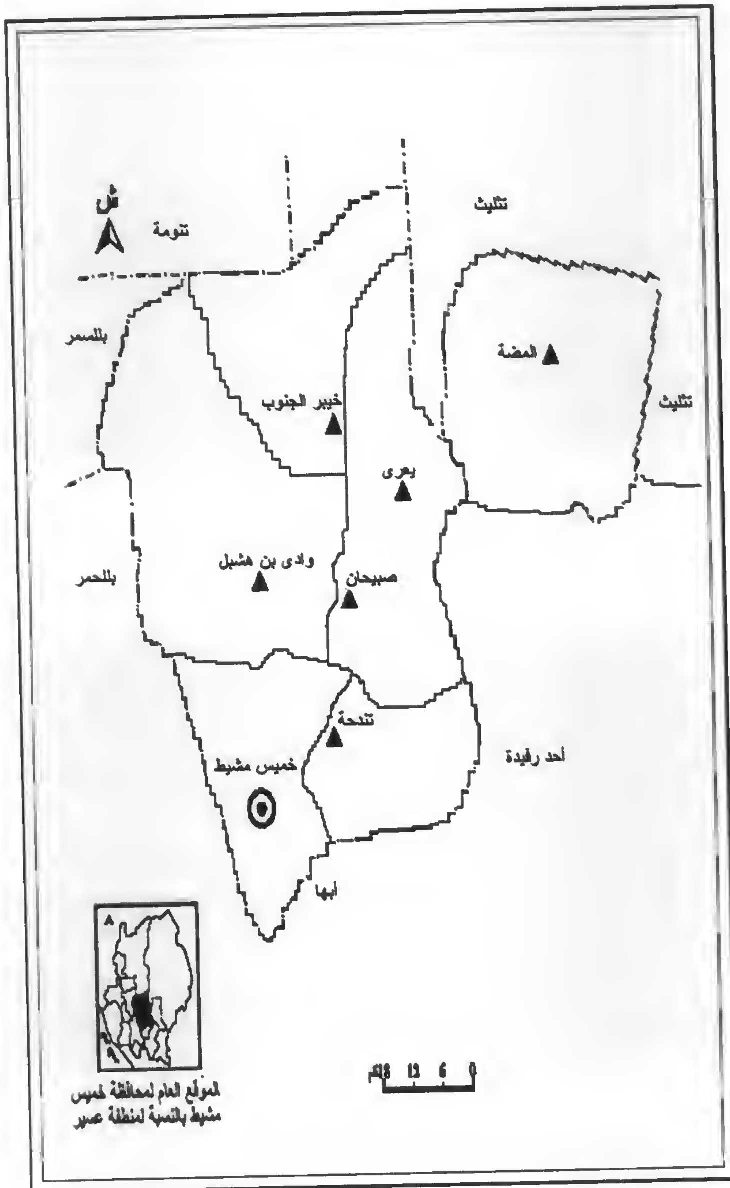


اللوحة رقم (٢٣) نموذج آخر من الموقع نفسه.

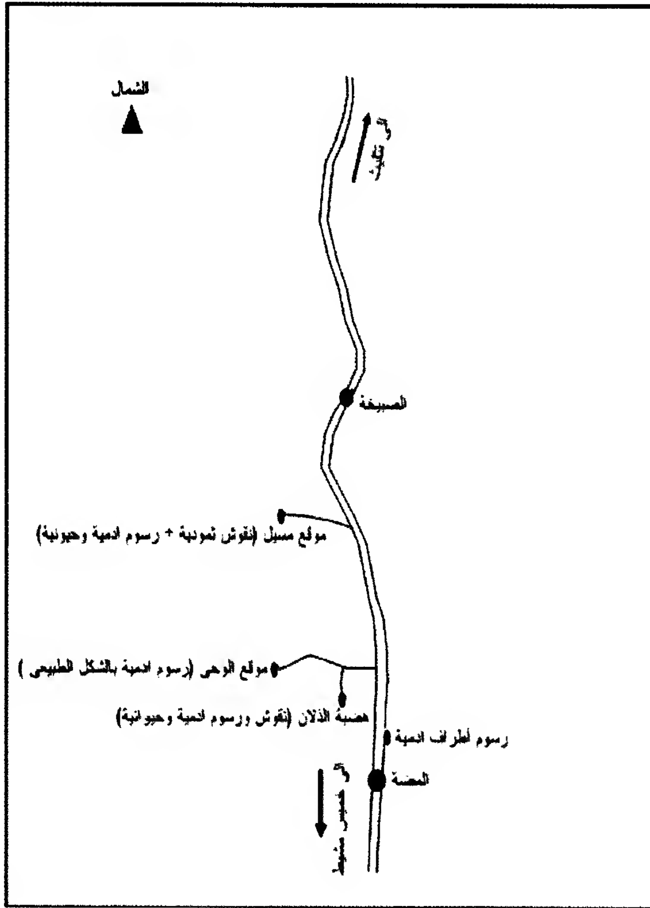


اللوحة رقم (٢٤) علامة مبهمة ،وربما أنها رمز إلى الترس ، بخاصة و أنها تشبه التروس التي تظهر في أيدي الفرسان في موقع "الزبران – خيبر الجنوب".

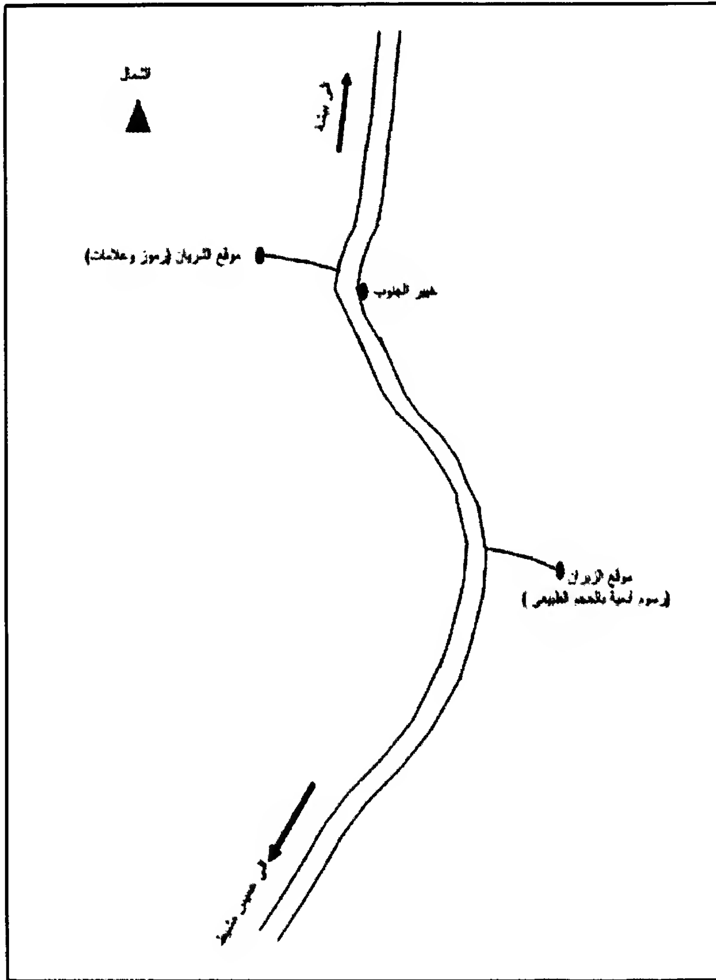
ثانيا: الخرائط والأشكال



الشكل رقم (١) خريطة خميس مشيط، وفى الإطار موقع خميس مشيط بالنسبة لمنطقة عسير



شكل رقم (٢) مواقع النقوش والرسوم الصخرية بمركز المضة



شكل رقم (٣) مواقع الرسوم الصخرية بمركز خيبر الجنوب

الهوامش:

١- خميس مشيط: إحدى محافظات منطقة عسير، ويتبعها عدد من المراكز الفرعية، وتقع في وسط منطقة عسير عند بداية السهول الشرقية لمرتفعات السروات (انظر الشكل رقم ١)، وتحتل المركز الأول في المنطقة من الناحية التجارية والعمرانية والصناعية، كما أنها تحتل المرتبة الرابعة بين مدن المملكة من النواحي التجارية.

*- عميد كلية المجتمع ببيشة، وأستاذ التاريخ القديم المساعد بقسم العلوم الاجتماعية – كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية – جامعة الملك خالد بأبها.

٢- لمعرفة المزيد من المعلومات عن مواقع الرسوم الصخرية في هذه المحافظات انظر: الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد: الآثار في منطقة عسير "دراسة توثيقية"، كتاب يتكون من عدة أجزاء تحت الطبع.

٣- تقع المضة إلى الشرق من منطقة خميس مشيط على الطريق العام الذي يربطها بالرياض العاصمة، وتبعد عنها بحوالي ١٣٠ كم، وتبعد عن مدينة تثليث بحوالي ٨٠ كم، وتمثل المضة أحد المراكز الإدارية التابعة لمحافظة خميس مشيط، وتعد آخر حدود المحافظة من جهة الشرق(انظر: الشكل رقم ١).

٤- يقع شمال المضة على يسار الطريق المؤدي إلى تثليث.(انظر: الشكل رقم ٢).

٥- يقع شمال المضة على بعد حوالي خمسة عشر كم، إلى اليسار من الطريق العام الذي يربط المضة بتثليث(انظر: الشكل رقم ٢)، والموقع هو بمثابة هضبة ذات صخور كبيرة وغيران وكهوف، وتعد مكاناً مناسباً لتوفير الظل، ومن المحتمل أنه كان مكان استراحة يستظل فيه الناس من حرارة الشمس، ويمارسون خلال استراحتهم تسجيل أفراحهم وأحزانهم وكل ما يعتري حياتهم من لحظات الحزن والفرح، ومن جانب آخر فإن الموقع قد يكون مخصصاً للعبادة وممارسة بعض الطقوس والشعائر الدينية ودراسة النقوش التي تنتشر في الموقع ستكشف لنا حقيقة هذا الموقع.

٦- إلى الجنوب من خيبر الجنوب على بعد حوالي ٣٠كم (انظر: الشكل رقم ٣).

٧- حول هذا الخلاف راجع: بحثنا "الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قبل الإسلام"، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثالث، الرياض (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ٣١.

٨- عبد النعيم، آثار ما قبل التاريخ وفجر التاريخ في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص ٢٧٢، ٢٧٣؛ انظر كذلك:السعود، عبد الله سعود: "استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال، العدد الرابع عشر(١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص٩٩-١٠٣.

٩- راجع: الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد: موسوعة الآثار والنقوش في منطقة عسير "دراسة توثيقية"، موسوعة تحت الطبع تتكون من ثمانية مجلدات (من اصدارات جامعة الملك خالد)، انظر: تحديداً محافظات تثليث، بيشة، النماص، بلقرن، أحد رفيدة.

- Khan, M., Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia,(Riyadh Department of Antiquities and Museums, 1993), p.129.

١١- كباوي، عبد الرحمن،وآخرون:"حصر وتسجيل الرسوم الصخرية (الموسم الثالث سنة_١٤٠٦ هـ")، أطلال، العدد الحادي عشر(١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)،ص٧١-٩٢؛ أنظر كذلك: عبد النعيم، آثار،ص٢٣٠-٣٠١.

١٢- انظر: الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد : "الرسوم الصخرية في منطقة أبها(دراسة توثيقية)"، بحث مقبول للنشر في مجلة الدارة.

١٣- على الرغم من أن المسح الذي أجريناه غطى معظم مناطق محافظة خميس مشيط والمراكز التابعة لها، فإنه قد يعثر في المستقبل على رسوم جديدة.

١٤- تقع شمال المضة على بعد أكثر من عشرة كم، (انظر: الشكل رقم ٢).

١٥- أشكر الأستاذ / هياف بن عايض القرقاح، من أهالي المضة، الذي أرشدنا إلى هذا الموقع وإلى غيره من المواقع الأخرى، وكان خير معين للباحث في مركز المضة، كما أنه كان مرجعنا فيما يتعلق بأسماء المواقع في هذا المركز، فله منا جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

- Khan, *Prehistoric Rock Art* p.136ff.

- Parr,P.J, el.al."Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province", Atlal, vol.2 (1976) p.29-50; Adams,R.el.al. *"Preliminary Report on the first phase of the Comprehensive Survey program: Northern province"*,Atlal,vol.,1, (1977),p.21-40.

١٨- راجع: الخثعمي، موسوعة الآثار، مرجع سابق.

١٩- المرجع نفسه، انظر تحديداً محافظة تثليث.

٢٠- انظر: الخثعمي: "الرسوم الصخرية"، مرجع سابق.

٢١- تسمى هذه الهضبة عند بعض العامة بهضبة "الصبايا"، وربما أن هذا الاسم نسبة إلى الرسمتين اللتين توجدان بهما، غير أن الرسم هنا لفرسان وليس لإناث، وقد نشرت هاتان الرسمتان في كتاب سلسلة هذه بلادنا – أبها للشيخ هاشم النعمي، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص٦٤، وقد أشار إلى أن الرسمة من هضبة العبايا بضاحية أبها، وهذا خطأ مطبعي قصد به الصبايا، كما أن الموقع ليس من ضواحي أبها كما أشار الشيخ بل يبعد عن أبها بحوالي ٧٠ كم تقريباً، ويقع في بلاد بني بجاد.

٢٢- أحب أن أشيد هنا بجهد الأخوين / ظافر ومحمد ابني عبد الله بن سعد الشهراني من أهالي خيبر الجنوب من بني بجاد، للمساعدة التي قدماها للباحث في أثناء وجوده في مركز خيبر الجنوب، حيث أرشداه إلى كل المواقع في هذه المنطقة، وتناوبا على مرافقته إلى كل موقع من هذه المواقع، كما أن المذكورين كانا مرجعنا فيما يتعلق بأسماء المواقع في منطقتهما فلهما منا جزيل الشكر والتقدير.

٢٣- يرى زميلنا في القسم الدكتور / علي عواجي الذي كان يرافق الباحث إلى هذا الموقع، أن هذه الآلة آلة الربابة وليس ترساً، وفي اعتقادي أن الفنان قد نجح إلى حد بعيد في أن يرسم لنا صورة الفارس وإن كان لا يبدو من المنظر أنه في حالة قتال، لكنه حاول أن يصوره بسلاحه وعدة قتاله، ولهذا فالفارس حين يحمل رمحه فهو بحاجة إلى ترسه ودرعه وخنجره أو سيفه، وليس إلى الربابة كما يعتقد الدكتور/ علي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فليس لدينا إلى الآن ما يثبت أن الربابة بوصفها آلة موسيقية قد ظهرت في هذه المنطقة في مدة ما قبل الإسلام، وأزعم أن الربابة لم تعرف في هذه المنطقة-أي منطقة عسير- حتى في العصور الإسلامية والحديثة. ومن هنا يتأكد لنا أن ما يحمله الفارس في يساره هو الترس وليس الربابة وهو مشابه تماماً لما وجد في شمال الجزيرة العربية. عن ذلك انظر:

(Khan, PrehistoricRockArt,Fig.nos14,15p.45).

٢٤- انظر: الخثعمي، : "الرسوم الصخرية"، مرجع سابق.

٢٥- تقع بئر كتنة في قاعة ناهس ببلاد شهران، وهي كتنة التاريخية التي ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية والجغرافية مثل: الهمداني، الحسن بن أحمد ابن يعقوب: *صفة جزيرة العرب*، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ /١٩٩٠م) ص ٣٧٥؛ وذكرها الهجري فيما نقله عن سليمان بن زيد القمري في شرح قول الشاعر:

ألا ليت عندي علم صدر مقيد وسائله المدراء من حلها بعدي

قال: المدراء من أرض خثعم، هضبة من تبشع، وأقرب المناهل إليها كتنة القاع من محجة الجوفية، انظر (الجاسر، حمد:"كتنة"، العرب، جـ١-٢،السنة ١٩، رجب وشعبان ١٤٠٤هـ / إبريل - مايو ١٩٨٤م، ص ٤٩؛ وذكرها البعض على أنها قرية عظيمة فيها آبار، انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٥؛ ابن قدامة، الخراج، ص ١٨.

٢٦- يعود الفضل في الكشف عن هذه اللوحة إلى السيد/ علي بن محمد بن مدشوش الشهراني الذي يقع منزله إلى الشرق من موقع اللوحة على بعد حوالي ١كم تقريبا.

٢٧- انظر: الخثعمي، : *"الرسوم الصخرية"*، مرجع سابق.

٢٨- توجد مثل هذه الأشكال في المناطق التابعة لمركز المضة (خميس مشيط)، ومركز العرين (أحد رفيدة)، ومركز الصبيخة (تثليث)، ومركز العرقين(سراة عبيدة).

-Al-Khathami,m.s.The kingdom of Lhyan-History, Society, and Civilization in Pre- Islamic Arabia, unpublished Ph.D.Thesis, Manchester University (1999)p.280.

- Ibid, p.280.

- Khan, Prehistoric Rock Art, p.188.

٣٢- انظر: الخثعمي، "الرسوم الصخرية"، المرجع السابق.

- Khan, Prehistoric Rock Art, p.176.

- Khan, Prehistoric Rock Art, p.174f.

٣٥- استخدمت الوسوم التي كانت تدمغ على أجساد الحيوانات للتعبير عن الملكية الفردية أو الجماعية لأصحابها، عن ذلك انظر: خان، مجيد خان حسين: "وسوم القبائل بين الماضي والحاضر"، مجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثاني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص١١-٢٣.

٣٦- وهذا ما حدث بالفعل في مركز العرقين التابع لمحافظة أحد رفيدة، عن ذلك انظر: الخثعمي: "موسوعة الآثار"، راجع تحديداً محافظة أحد رفيدة.

- Khan, Prehistoric Rock Art,p.174f.

٣٨- عبد النعيم، آثار، ص ٢٨٠.

- Khan, Prehistoric Rock Art,p.188f.

- Khan, Prehistoric Rock Art, p. 15.

- Ibid,15.

- Khan, Prehistoric Rock Arp,pp.176-187.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- ابــن خــرداذبة، أبــي القاســم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل (١٨٨٩).
- ابــن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد (١٩٧٩).
- الهمدانــي، الحسن بن أحمد ابن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ /١٩٩٠م).
- الجاســر، حمد: "كتنة"، العرب، جــ١-٢، السنة ١٩، رجب وشعبان (١٤٠٤هـ / إبريل - مايو ١٩٨٤م).
- خان، مجيد خان حسين: " وسوم القبائل بين الماضي والحاضر"، مجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثاني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد: "الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قــبل الإسلام "، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثالث، الرياض (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد: "الرسوم الصخرية في منطقة أبها(دراسة توثيقية)"، بحث مقبول للنشر في مجلة الدارة.
- الخثعمــي، مســفر بــن سعد بن محمد: موسوعة الآثار والنقوش في منطقة عسير "دراسة توثيقية"، تتكون الموسوعة من اثني عشر مجلد، منها ثمانية مجلدات تحت الطبع (تصدر عن جامعة الملك خالد) .
- الســعود، عــبد الله ســعود: "استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال، العدد الرابع عشر (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- النعمي، هاشم: سلسلة هذه بلادنا - أبها-، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

ثانياً: المراجع المنقولة إلى العربية:

- عــبد النعــيم، محمد: آثار ما قبل التاريخ وفجر التاريخ في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- كباوي، عبد الرحمن،وآخرون: "حصر وتسجيل الرسوم الصخرية (الموسم الثالث سنة ١٤٠٦ هـ")، أطلال، العدد الحادي عشر(١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Adams,R.el.al."Preliminary Report on the first phase of the Comprehensive Survey program: Northern province",Atlal, vol., 1, (1977).
- Khan, M., Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia, (Riyadh DepartmentofAntiquitiesandMuseums, (1993).
- Al-Khathami, m.s.The kingdom of Lhyan-History, Society, and Civilization in Pre- Islamic Arabia, unpublished Ph.D.Thesis, Manchester University (1999).
- Parr,P.J, el.al."Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province", Atlal, vol.2 (1976).